بيان الحاجة
إلى الطب والأطباء
وآدابهم ووصاياهم

تأليف

قطب الدين محمد بن مسعود الشيرازي
المتوفى سنة ٧١٠هـ

ويليه

آداب المريض والتمريض

تأليف

أبي محمد الحسن بن عز الدين الصنعاني
المتوفى سنة ٩٢٩هـ

تحقيقه وتعليقه

أحمد فريد المزيدي

منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

منشورات محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

جميع الحقوق محفوظة
Copyright
All rights reserved
Tous droits réservés

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة
لدار الكتب العلمية بيروت - لبنان
ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو مجزأ أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على اسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً

Exclusive rights by
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Beirut - Lebanon
No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

Droits exclusifs à
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Beyrouth - Liban
Il est interdit à toute personne individuelle ou morale d'éditer, de traduire, de photocopier, d'enregistrer sur cassette, disquette, C.D, ordinateur toute production écrite, entière ou partielle, sans l'autorisation signée de l'éditeur.

الطبعة الأولى
٢٠٠٣ م - ١٤٢٤ هـ

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان
رمل الظريف - شارع البحتري - بناية ملكارت
الإدارة العامة: عرمون - القبة - مبنى دار الكتب العلمية
هاتف وفاكس: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢/١٣ (٥ ٩٦١+)
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon
Raml Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg. 1st Floor
Head office
Aramoun - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.O.Box: 11-9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kutub Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban
Raml Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1er Étage
Administration général
Aramoun - Imm. Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.P: 11-9424 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-3785-9

http://www.al-ilmiyah.com/

e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين حمدًا يليق بجاهه العظيم، وفيضه الكريم، والصلاة والسلام على البشير النذير المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحبه المقربين.

وبعد: فهذا كتاب ذكر فيه ما يتعلق بالطب والأطباء، وبيان الحاجة الماسة إليهم، لسلامة البدن، وبه يكون سلامة الروح والنفس لتلازمهم، فقد قام الإمام قطب الدين الشيرازى بوضع هذه الرسالة على سبيل التذكرة وقاعدة تعليم للأطباء وبيان شرفه الطب والحاجة إليه.

وقمنا بتحقيق هذا الكتاب لأهميته العلمية، وألحقنا به كتاب آداب المريض والتمريض للناصر لدين الله الهادى بن عز الدين الحسنى اليمنى، لما رأينا أهميته، وأنه عزيز فى تفرده ونوعه، والمخطوط من مصورات معهد المخطوطات العربية من الأمبروزيانا بإيطاليا يقع تحت رقم ٢٧٢ طب - ١٣ ورقة ذات وجهين، وقد لقيت فى تحقيقه مشقة بالغة لصعوبة خطه وعدم نقطه، وعدم وضوح بعض كلماته، وما هذا إلا جهد المقل ومحاولة الاقتراب من الخير والصواب.

وأسأل الله أن ينفعنا بالعلم وأهله، ويجعله خالصًا لوجهه الكريم إنه ولى ذلك والقادر عليه، وصلى اللهم على الهادى محمدٍ وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

كتبه

أحمد فريد المزيدى

* * *

آداب
المريض والتمريض

تأليف

أبي محمد الحسن بن عز الدين الصنعاني

المتوفى سنة ٩٢٩هـ

تحقيق وتعليق

أحمد فريد المزيدي

ترجمة موجزة للمصنف

هو الناصر لدين الله الهادى الزيدى الحسن بن عز الدين بن الحسن بن على بن المؤيد الحسنى من أئمة الزيدية باليمن، دعا لنفسه فى حصن كحلان، بعد وفاة والده سنة ٩٠٠هـ. وخطب له بمدينة صنعاء، وناوأه خصومٌ له فلفقوا عليه قصة أوجبت حكم القضاء بفسخ إمامته فمال عنه الناس واستمر فى قلة منهم.

وتوفى فى مدينة فلَلَة، شمالى صنعاء، سنة ٩٢٩هـ. وكان فقيهًا فاضلاً له:

١ - القسطاس المقبول شرح معيار العقول فى علم الأصول.

٢ - ورسائل فيها أدب وبلاغة.

٣ - آداب المريض والتمريض، وهو كتابنا هذا.

انظر ترجمته فى: الأعلام للزركلى (١٩٩/٢)، مُلحق البدر الطالع (٧٢).

ونذكر ترجمة والده لإتمام الفائدة:

هو عز الدين بن الحسن بن على بن المؤيد بن جبرئيل اليمنى من أئمة الزيدية، وُلد ونشأ فى أعلى فلَلَة، وانتقل إلى صعدة، ثم إلى تهامة ودعا إلى نفسه، وتلقب بالهادى إلى الحق، فبايعه أهل فللة، وأطاعته بلاد السورة، وكحلان، والشرفين، والبلاد الشامية، فى اليمن، توفى بصنعاء فى رجب سنة ٩٠٠هـ.

من تصانيفه: شرح البحر الزخار، شرح المنهاج للعرشى فى الأصول، العناية النامية فى شرح مسائل الإمامية، وكنز الرشاد، والفتاوى الزيدية، وله نظم جمعه فى ديوان.

وانظر: معجم المؤلفين (٣٧٥/٢)، الأعلام (٢٩٩/٤)، البدر الطالع (٤١٥/١).

* * *

صور المخطوطات

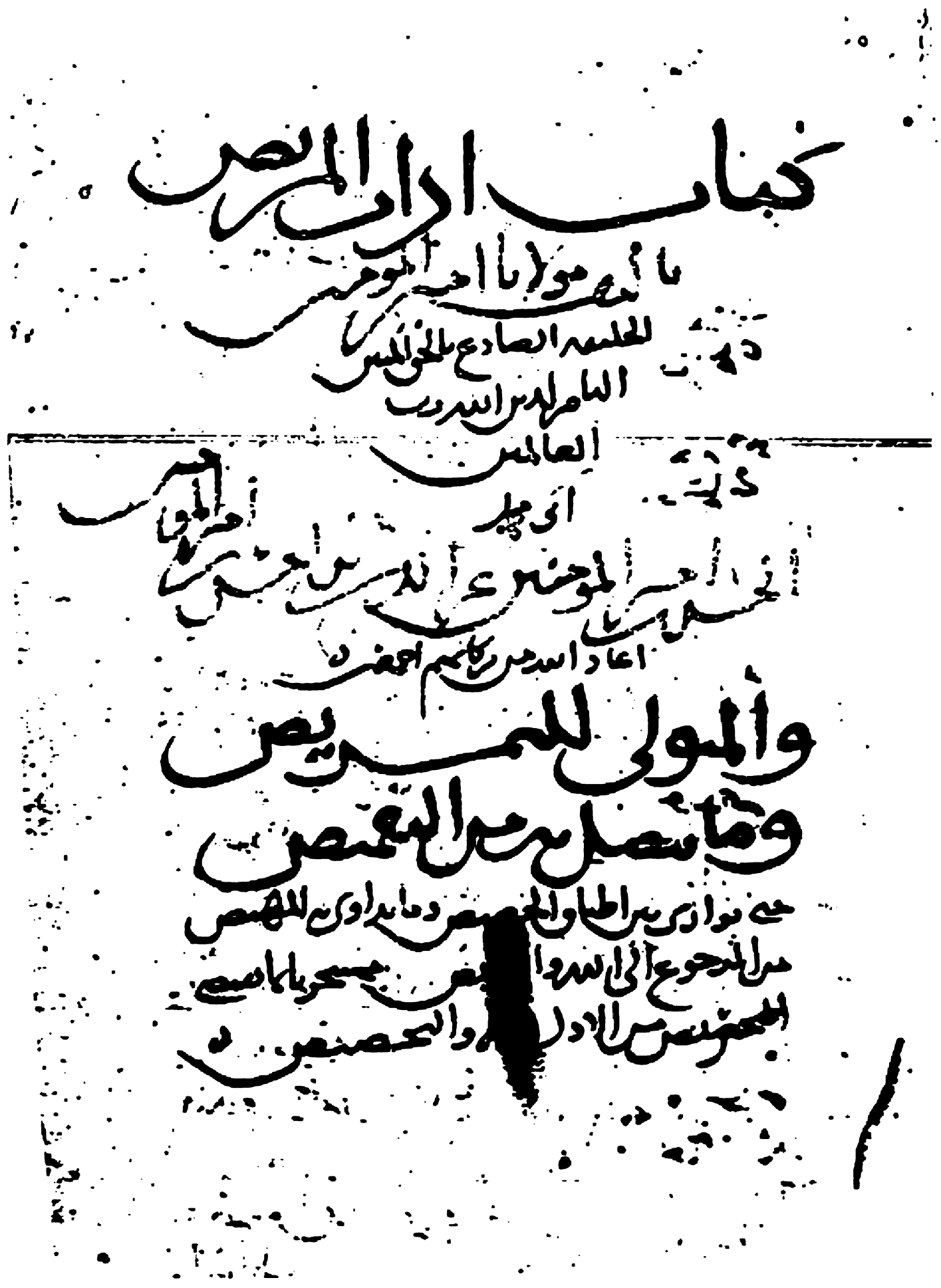
كتاب آداب المريض
والمولى للمريض
وما يحصل به من النقص

صورة غلاف المخطوط

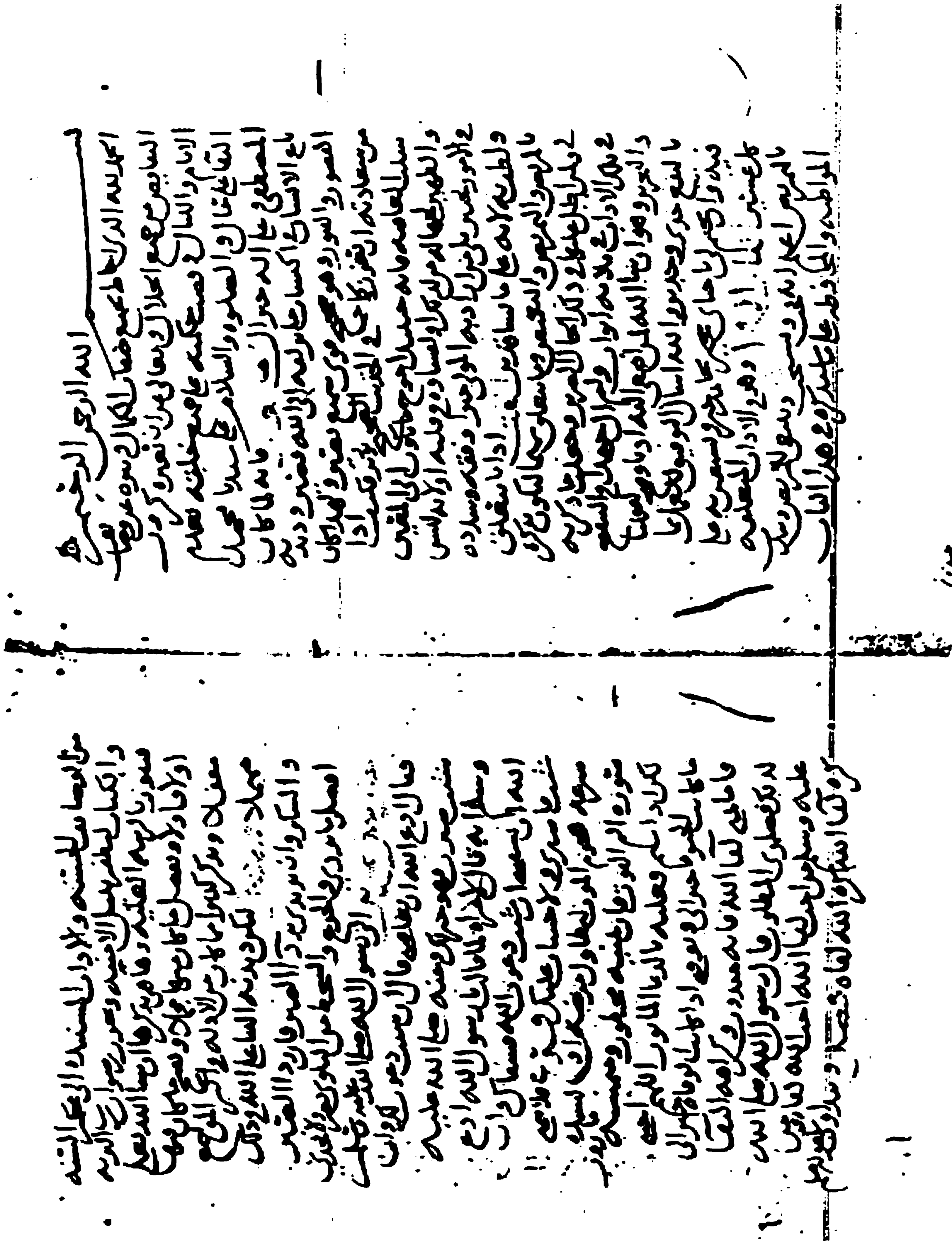

صورة الورقة الأولى من المخطوط

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أحاط بجميع صفات الكمال وتنزه عن وصائف النقائص من جميع الخلال، وتعالى عن أن تغيره الأيام والليالى، وقضت حكمته على جميع خلقه لعدم البقاء على محال، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المصطفى وعلى آله خير آل.

أما بعد: فإنه لما كان باع الإنسان فى اكتساب ما يزلفه إلى الله [.....][1] وهو صحيح قوى سميع بصير، ولهذا كان من سعادته أن يُعزّز كما جاء فى الحديث الصحيح يؤثر، فكيف إذا سُلب العافية فإنه حينئذٍ أحوج ما يكون إلى المعين والظهير لجهالة من لدنك، أو لغشاوة فى قلبه، أو لأنه ليس فى الأمور بخبير، بلى من أراد به المولى خيرًا وفقه وسدده ولطف به لأنه على ما يشاء قدير.

ألفت إذًا ما يتعلق بالمريض والتمريض والتغميض وما يتعلق بهما ليكون تذكرة لى ولمن أطلّ عليها فى ذلك الحال الضرير، وجعلت ما ذكرته فى تلك الآداب فى ثلاثة أبواب ولم آل جهدًا فى التنقيح والتحرير، وهو إن شاء الله لمن أصغى إليه أدبًا وصحَّ له فهو بالنفع حرى وجدير، والله أسأل التوفيق للعمل بما فيه، وأن يختم لى بأحبابى بخير يُجامعه خير ونستعين به على كل عسير.

* * *

---

(١) ما بين المعقوفتين طمس فى الأصل.

الباب الأول

وهو فى الآداب المتعلقة بالمريض

اعلم أنه يجب ويستحب وينبغى للمريض ويندب المواظبة والمحافظة على ما سنذكره فى هذا الباب من الوصائف الحسنة والآداب المسندة إلى محكم السنة والكتاب ليظفر بنيل الأُمنية ويحوز رضوان ربّ البرية، فيفوز بالرتبة العلية، وها هى نذكرها إن شاء الله تعالى أولاً فأول ونُفصّل ما كان منها مُجملاً، ويصح ما كان فيها مُغْفَلاً ونذكر كثيرًا مما كان من الأدلة فى أكثر المواضيع مهملاً.

فصل

ليكن دندنة البناء على الله فى ذلك والشكر وأن يرتدى برداء الصبر، فإن رداء الصبر أفضل ما يرتدى، والجوع، والسخط من البلوى بضرّ ولا يُجدى.

جاء رجل ضرير إلى رسول الله ﷺ، فقال: ادع الله أن يُعافينى، قال: «إن شئت دعوت لك، وإن شئت صبرت، فهو خير لك».

وعنه ﷺ أنه قال - لامرأة لما قالت: يا رسول الله، ادع الله أن يشفينى -: «إن شئت دعوت لك الله فشفاك، وإن شئت صبرت، ولا حساب عليك»[(١)].

فرع

فلا يتمنى سرعة هجوم الموت لتطاول مرضه أو تعتريه فُتورة ألم الموت، فإن تمنيه محظور ومتمنيه ذور، لكن إذا سلم فعليه بالدعاء المأثور: «اللهم أحينى ما كانت الحياة خير لى، وتوفنى إذا كانت الوفاة خيرًا لى»[(٢)].

فأما تمنى لقاء الله فإنه مندوب وكراهة التقاءه لذلك قصارى المطلوب. قال رسول الله ﷺ: «من أحبّ لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه»[(٣)].

---

(١) حديث صحيح: رواه البخارى (٥٦٥٢) (١١٤/١٠)، مسلم (٥٤) (١٩٩٤/٤)، فى البر، الإمام أحمد فى المسند (٣٤٦/١)، عن ابن عباس مرفوعًا، ورواه الإمام أحمد أيضًا (٤٤١/٢) عن أبى هريرة.

(٢) حديث صحيح: رواه النسائى فى الجنائز (٣/٤) باب تمنى الموت، الإمام أحمد فى المسند (٣/ ١٠٤)، ابن حبان فى صحيحه (٩٦٩) عن أنس مرفوعًا.

(٣) حديث صحيح: رواه البخارى (٧٥٠٤)، مسلم (٢٦٨٥)، الذكر والدعاء والتوبة، الإمام=

فصل

ويتداوى لقوله ﷺ [ق/٤]: «ما نزل داء إلا ونزل معه دواء»(١).

وقوله ﷺ: «تداووا، فإن الذى أنزل الداء أنزل الدواء، ولا تتداووا بحرام»(٢).

فصل

من الأفعال المأثورة والأذكار التى يُتوجه المواظبة عليها فى تلك الحال، والاستمرار أن يوجه وجهه وهو على ظهره أو جنبه إلا عن نحو القبلة، فإنه مندوب، لاسيما فى حق من هو بصدد النقلة والرحلة، وأن ينفث بالمعوذات فى يديه، ثم يمسح بهما وجهه ورأسه، وما استطاع من جسده، وأن يُعوذ نفسه، فيقول: «أُعيذ نفسى بالله الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يُولد ولم يكن له كفوًا أحد من شر ما أجد».

فصل

ويتصور ويُستحضر ويحضر ببالـه ويستشعر إنما هو فيه آخر أوقاته وبقية عُمره وساعاته، فهو بصدد الارتحال والمفارقة للدنيا وأهلها والانتقال فيجتهد على [أن] يختمها بخير الأعمال، وحُسن الإنابة إلى الله سبحانه والإقبال، مبادرًا إلى أداء الحقوق إلى أهلها كردِّ مظلمة ووديعة وعارية والاستحلال من الزوجة والوالدين، والأصحاب، والعيال، وكل من كانت بينه وبينه معاملة أو تعلق، ولو فى بعض الأحوال مُوصيًا إلى من يعرف وصيته وأمانيه بما عجز عن تقييده فى تلك الحال، وبأن يُحافظ فى أمره على ما فى هذا الكتاب من الأقوال والأفعال مجددًا للتوبة والاستغفار نادمًا على ما قد ارتكبه من الأوزار قائمًا على الإقلاع فى مُقبل الأعصار.

فصل

ويدأب فى المحافظة على الصلوات واجتناب النجاسات وغير ذلك من وظائف

=أحمد فى المسند (٢/٣١٣)، النسائى (٤/٩، ١٠)، مالك فى الموطأ (١/٢٤٠) عن أبى هريرة مرفوعًا.

(١) حديث صحيح: رواه البخارى (٥٦٧٨) (١٠/١٣٤)، ابن ماجه فى الطب (٣٤٣٩) عن أبى هريرة مرفوعًا بلفظ: «ما أنزل الله من داء إلا أنزل له شفاء». وفى لفظ آخر: «لم يضع داء إلا وضع له دواء». ورواه أبو داود (٣٨٥٥) (٤/٣)، الترمذى (٢٠٣٨) (٤/٣٨٣)، ابن ماجه (٢/١١٣٧) (٣٤٣٦)، الإمام أحمد فى المسند (٤/٢٧٨)، الحميدى فى مسنده (٢/٣٦٣) (٨٢٤).

(٢) حديث صحيح: رواه أبو داود (٣٨٧٤) (٤/٧) عن أبى الدرداء. وأورده الهيثمى فى مجمع الزوائد (٥/٨٦) عن أم الدرداء بنحوه، وعزاه للطبرانى، وقال: رجاله ثقات.

الدين، وسيما الأبرار المتقين وإياه التساهل فى ذلك، والتقاعس، فإن من أقبح القبائح التفريط فيما أوجب عليه أو بدت إليه آخر عهده من الدنيا والتباعد، فلا يلتفت ولا يصغى إلى تحذير الصديق الجاهل، والعدو الخفى، فيداوم [على] تلاوة القرآن، وملازمة الأذكار، ولا يتخلى عن ذلك شيئًا من ساعات الليل والنهار، ولاسيما سورة يس، وسورة الإخلاص، ونحوهما من أفراد الأذكار والخواص قبل أن يتعذر السَّعى فيما به يقع الخلاص وتجف الأقلام فلا مَحيص ولا مغيث.

فرع

ورد فى الأثر عن سيد البشر، أنه قال من حديث فى تفضيل سورة يس: «وأيما مسلم قرأها وهو فى سكرة الموت لم يغص ملك الموت روحه حتى يحفه رضوان حارث الجنة، يُسر به من سرار بها وهو على فراشه فيغصص ملك الموت روحه وهو ريان، ولا يُساق إلى حوضٍ من أحواض الأنبياء حين يدخل وهو ريان»[(١)].

وعنه ﷺ أنه قال: «من قرأ فى مرضه الذى يموت فيه قل هو الله أحد لم يُفتن فى قبره، وأمن من ضغطة القبر، وحملته الملائكة بأكفها حتى تُجيزه من الصراط إلى الجنة»[(٢)].

وعنه ﷺ أنه قال: «من قال: لا إله إلا الله، والله أكبر، لا إله إلا الله وحده، لا إله إلا الله لا شريك له، لا إله إلا الله له الملك وله الحمد، [ق/٥] لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله فى مرضه، ثم مات لم تطعمه النار»[(٣)].

وروى عنه ﷺ أنه قال: «لا إله إلا الله سبحانك إنى كنت من الظالمين، أيما مسلم دعا بها فى مرضه أربعين مرة فمات فى مرضه ذلك أعطى أجر شهيد، وإن يُرى يُرى، وقد غفر له جميع ذنوبه»[(٤)].

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) ضعيف جدًا: فيه نصر بن حماد بن عجلان البجلى أبو بركات الوراق، قال ابن معين: متروك. وقال البخارى: يتكلمون فيه. وقال مسلم: ذاهب الحديث. انظر: التهذيب (٤٢٥/١٠)، الكامل (٣٨/٧).
والحديث رواه الطبرانى فى الأوسط (٥٧/٦) (٥٧٨٥)، أبو نعيم فى الحلية (٢١٣/٢)، وأورده السيوطى فى الدر (٤٦١/٦)، وقال: رواه الطبرانى فى الأوسط، وأبو نعيم فى الحلية بسندٍ ضعيف.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) لم أقف عليه، قلت: وقد روى معمر بن عبد الواحد الأصبهانى فى موجبات الجنة (٢٢١) باب فى ذكر ما يدعو العبد فى مرضه أدخله الله الجنة: ثنا حمد بن على، قال: ثنا الفضل بن سعيد،=

فصل

ويحسن الظن بالله فيستحضر فى ذهنه أنه شيء حقير فى مخلوقات العلى الكبير، وأنه عبدُ الله وابن عبده، وابن أمته ناصيته فى يده ولا يؤمل العفو والتجاوز والصفح إلا من عنده، وأن الله غنى عن عذابه ولا يعجز بمؤاخذة أحد ولا بعقابه، ويتلو عنده بصوتٍ رقيق هذا الآيات والأخبار الواردة فى الرجاء، وهو يتأملها ويتدبر ويتصفح ما فيها ويتفكر، كذلك حكايات الصالحين، وآيات عباد الله المتقين عند هجوم هاذم اللذات، وورووده وانقضاء الأجل المختوم لوفوده.

قال سبحانه صادق فى وعده ووعوده: «أنا عند ظن عبدى بى»[1].

وليكن مع ذلك خائفًا قلقًا مما كان له من الأيام مُفارقًا، وليعلم أن الله إن عفا عنه فبجوده ورحمته، وإن عذبه فبقدرته وحكمته، فما أحسن الخوف والرجاء إذا اجتمعا وأجودهما إذا كانا معًا.

وروى أنه ﷺ دخل على بعض أصحابه وهو يُعالج الموت، فقال: «كيف تجدك»؟ وقال: أرجو الله وأخاف ذنوبى، فقال ﷺ: «لا يجتمعان فى قلب مؤمنٍ فى هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وأمنه مما يخاف»، فأما من وثق بعمله ما خيبه أمله، وإن كان من أرباب العلم والإخلاص، فإنه ليس لأحدٍ عن افتراق الأيام خلاص، بل لكلٍ منا على موارد الهلكة اغتصاص لكان من الآمرين بها والدّاعين إليها، والحاثين من النفس

=ثنا أبو الشيخ، ثنا على بن جبلة أبو العباس الخزاعى، وعبد الله بن محمد بن زكريا، قالوا: حدثنا محمد بن بكير الحضرمى، ثنا عامر بن سيّاف، عن يحيى بن أبى كثير، عن حديث الحسن، عن أبى هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا هريرة، ألا أخبرك بأمرٍ هو حق من تكلم به عند الموت فقد نجا من النار؟ إذا أمسيت فاعلم أنك لن تُصبح، فإنك إذا قلت ذلك عند أول مضجعك من مرضك، نجاك الله من النار، وأدخلك الجنة، أن تقول: لا إله إلا الله يُحيى ويُميت، وهو حى لا يموت، سُبحان الله رب العباد والبلاد، والحمد لله كثيرًا طيبًا مباركًا فيه على كل حال، الله أكبر كبيرًا، كبرياء ربنا وجلاله وقدرته بكل مكان، اللهم إن أنت أمرضتنى لتقبض رُوحى فى مرضى هذا، فاجعل رُوحى فى أرواح من سبقت لهم منك الحسنى، وباعدنى من النار، كما باعدت أولياءك الذين سبقت لهم منك الحسنى، قال: فإن متَّ فى مرضك ذلك، فإلى رضوان الله ورحمته، وإن كنت قد اكتسبت ذُنوبًا تاب الله عليك».

قلت: وهذا الحديث رواه ابن الجوزى أيضًا فى الواهيات (٨٩٠)، وإسناده ضعيف جدًا.

(١) حديث صحيح: رواه أحمد فى المسند، والطبرانى فى الكبير، والحاكم فى المستدرك، عن أبى هريرة وواثلة مرفوعًا، وصححه الحاكم ووافقه الذهبى، والسيوطى فى الجامع الصغير (٨٣/١).

وشياطين الجن والإنس عليهما، وإن الشيطان من أهل الدهاء والفكر، وأرباب التدخل والبصر، فليس يُعالج العالم المخلص إلا محسن بالعمل الصالح الطاهر، وربما تسول النفس أن ذلك حقير رخيص فى جنب الطاعات وبر الأعمال الصالحات المثمرات، فيحبط عمله من حيث لا يدرى وهو يعتقد أنه عن ذلك برئ كما قال تعالى: ﴿**أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون**﴾ [الحجرات: ٢]، ولهذا قال ﷺ: «حراسة العمل خيرٌ من العمل».

وقال فى حديث آخر: «والمخلصون على خطر عظيم، أن يبرق الأبصار ويذهل العقول»، فإن هذا الحديث من أصح ما ورد عن الرسول ﷺ.

فصل

ويغمس يده فى ماء عنده، فيتجلى ملك الموت من حجبه ليقضى فيه ما أمر به، ثم يمسح وجهه بالماء قائلاً: «اللهم أعنى على غمرات الموت وسكرات الموت»[(١)]. لأن رسول الله ﷺ فعل ذلك وقال ذلك.

فصل

ويحرص أن يكون آخر كلامه لا إله إلا الله، لقوله ﷺ: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»[(٢)].

* * *

---

(١) حديث حسن: رواه الترمذى (٩٧٨) (٣/٢٩٩)، الإمام أحمد فى المسند (٦/٦٤، ٧٠، ٧٧، ١٥١)، ابن ماجه (١٦٢٣) (١/٥١٩)، عن عائشة مرفوعًا، وقال أبو عيسى: حسن غريب.

(٢) حديث صحيح: رواه أبو داود (٣/١٩٠) (٣١١٦)، الإمام أحمد فى المسند (٥/٢٣٣)، ولفظه: «وجبت له الجنة» وعزاه العجلونى فى كشف الخفاء (٢/٣٧٥)، لأحمد، والطبرانى، والحاكم وصححه عن معاذ مرفوعًا.

الباب الثانى

وهو فيما يتعلق بالمريض وبما يتعقبه من تنفيس فى الأجل أو قضاء نَحْب [ق/٦].

فنذكر أحواله من التغميض وما يتصل به أولاً فأول إلى أن يتوارى بين أطناب الخصص مسموعًا بذكر ما ندب إليه وورد فى تلك الحال الحث عليه والتحريض فيبدأ فيه بالغرض المنحتم الواجب مطلقًا فيه المندوب هذا فى الغالب وكنت طاويًا عن ذكر كيفية الغسل.

وضاربًا عن ذكر ما كان واجبًا بناءً على ظهوره وعرفانه صفحًا، حتى عول من يلزمنى إجابته، ولا يسعنى مخالفته أن أبسط فى ذلك شرحًا فأسعفته بالمرام مقتصرًا على ذكر ما يليق بالمقام، ولم آل نصحًا لا عجزًا عن الاستقصاء ولا الإحاطة بما يحتاج إليه فى النادر والإحصاء، بل إنه قلّ ما يحافظ على ما ذكرناه ويُواظب إلا فى حق الخواص كما لا يحظى بالتقاط الدر من قعر البحر غير المهرة من الغواص.

فينبغى ممن له أدنى معرفة الحرص على ما سنذكره فى هذا الباب، والحدث ممن جار فيه، فقد فات بعضًا من المآرب، إذ هو ما بين فرض واجب ومندوب وثوابه كبير ليس بغارب وحق تقتضيه الأخوة فى الله لازب هذا فى حق الأباعد والأجانب فضلاً عن الوالد والولد والصاحبة والصاحب.

فصل

لا ينفك عنه من يفتقر إلى ملازمته ولا معاينته ومباشرته صابرًا عليه فى ذلك المرض محتملاً ما بدر منه وعرض مشبهًا له ومُذكرًا متى رآه فلا عن شىء مما تقدم.

فإنه فى تلك الحال مُعرض للكسل والإهمال والغفلة عن أهبة سفره والإغفال فلينبهه برفق على ما أهمله وليحثه على ما أنسيه وأغفله، معاونة له على البر والتقوى من غير تأفف وسخط من حُلول تلك البلوى، فإنه بذلك يحوز الأجر الكثير، ويفوز بالثواب الكبير، ويستجلب إعانة اللطيف الخبير لقول نبينا ﷺ البشير النذير: «والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه»، أو كما قال، هذا على سبيل الإجمال والعموم، وسواء هذه أشهر من نار على عَلَم، فلا معنى لأن يُذكر هنا وننوه على أننا سنُعيد ذلك بشىء مما تضمنه ذلك معززًا ببعض ما يقوم عليه من المسالك.

فصل

ويقول: متى دخل عليه ودنى منه وقف لديه، وكذا غيره ممن قصد عيادته فوصل إليه بعد أن يضع يده على جبهته، أو على إحدى يديه: لا بأس كفارة وطهور إن شاء الله، اللهم رب الناس أذهب البأس اشف الناس، أنت الشافى ولا شفاء إلا شفاءك، شفاء لا يغادر سقمًا. ويقول سبع مرات: أسأل الله العظيم رب العرش العظيم، أن يشفيك ويعافيك، ويقول: شفى الله سقمك، وغفر ذنبك وعافاك فى دينك وجسمك إلى مُدة أجله، وبشره بالعافية ويُطيب نفسه(١).

قال ﷺ: «إذا دخلتم على مريض فنفسوا له فى أجله فإن ذلك لا يرد»(٢).

ويسأل [ق/٧] عما يشتهيه ثم يعتنى بتحصيله، ويُدأب به. عنه ﷺ أنه دخل على رجل يعوده، فقال: «هل تشتهى شيئًا، تشتهى كعكًا»؟ قال: نعم، فطلبه له. ولا يُكره على الشراب والطعام لقول النبى ﷺ: «لا تكرهوا مرضاكم على الطعام والشراب، فإن الله يُطعمهم ويُسقيهم»(٣).

---

(١) تعقيبًا وتعليقًا على ما سبق من كلام المصنف، قلنا: روى ابن عباس مرفوعًا: «من عاد مريضًا لم يحضر أجله، فقال عنده سبع مرات: أسأل الله العظيم ربَّ العرش العظيم، أن يشفيك إلا عافاه الله». رواه أبو داود (١٨٧/٣) (٣١٠٦)، الترمذى (٤١٠/٤) (٢٠٨٣)، الإمام أحمد فى المسند (٢٣٩/١، ٢٤٣، ٣٥٢)، قال أبو عيسى: حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث المنهال بن عمرو. انظر: كشف الخفاء للعجلونى.
وروت عائشة مرفوعًا: وكان ﷺ إذا أتى مريضًا أو أُتى به إليه، قال: «أذهب البأس رب الناس، واشف أنت الشافى، شفاءً لا يُغادر سقمًا»، أى لا يترك. رواه البخارى (١٣١/١٠) (٥٦٧٥)، مسلم (١٧٢/٤) (٤٨)، ابن ماجه (١١٦٣/٢) (٣٥٢٠).
وروى عنه ﷺ أنه كان إذا دخل على مريض يعوده وضع يده عليه، وقال: «لا بأس طهور إن شاء الله». رواه البخارى (١١٨/١٠) (٥٦٥٦)، البغوى فى شرح السنة (٢٢٢/٥) (١٤١٢)، البيهقى فى الكبرى (٣٨٢/٣)، الطبرانى فى الكبير (٣٤٢/١١) (١١٩٥١).

(٢) رواه الترمذى (٤١٢/٤) (٢٠٨٧)، ابن ماجه (١٤٣٨) (٤٦٢/١) عن أبى سعيد الخدرى مرفوعًا، وقال أبو عيسى: حديث غريب. فائدة: وأصل التنفيس: التفريج والتوسيع، ومعناه هنا تطميع المريض فى إطالة الأجل، وعدم تيأسه.

(٣) رواه الترمذى (٢٠٤٠) (٣٨٤/٤)، ابن ماجه (٣٤٤٤) (١١٤٠/٢)، قال أبو عيسى: حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وقال البوصيرى فى الزوائد: إسناده حسن، لأن بكر ابن يونس مختلف فيه، وباقى رجال الإسناد ثقات. وأورده العجلونى فى كشف الخفاء (٢/ ٥٠٠) وعزاه للترمذى وابن ماجه والحاكم وابن السنى وأبى نعيم فى الطب عن عقبة بن-

ويلتمس دعاءه كل من دخل عليه لقول نبينا ﷺ: «إذا دخلت على مريض فمره فليدع لك، فإن دعاءه كدعاء الملائكة»[١].

فصل

وإن دنى نحوه فوجده دنى رجليه، وأزفت منه النقلة وهو غير مستقبل للقبلة وجهه إليها من لديه.

قال ﷺ، وقد دخل على مريض يجود بنفسه: «وجهوه للقبلة، فإنكم إن فعلتم ذلك أقبلت عليه الملائكة»، وإن غفل عن ختم كلامه بلا إله إلا الله، لقنه من يحضره بلطف ورفق مخافة أن يردّها للضجر، وإذا قالها مرة لم يعدها عليه حتى يتكلم بكلام[٢].

فصل

ومتى مات المريض فزع من لديه إلى التغميض، فإنه ﷺ غمض أبا سلمة، وقال: «إن النضر سمع الرُّوح»، ويقول المغمض حينئذٍ: بسم الله، وعلى ملة رسول الله، ثم يدعو له بما ورد به الأثر من سيد البشر: «اللهم اغفر ذنوبه وارفع درجته فى المهديين، واخلفه فى عقبه من العابدين، واغفر لنا وله يا رب العالمين وافسح له فى قبره، ونور له فيه».

ويُكفن برفق بعد التغميض كل مفصل منه بالمدِّ والتعمير لئلا تيبس أعضاؤه ومفاصله

=عامر. وعزاه الهيثمى أيضًا إلى الطبرانى فى الأوسط والبزار، عن عبد الرحمن بن عوف، وقال: فيه الوليد بن عبد الرحمن بن عوف، ولم أعرفه ولا من روى عنه، وبقية رجاله ثقات.

(١) حديث إسناده ضعيف: رواه ابن ماجه (١٤٤١) (١/٤٦٣) عن عمر بن الخطاب. قال البوصيرى فى الزوائد: إسناده صحيح ورجاله ثقات، إلا أنه منقطع. وأورده السيوطى فى الجامع الصغير (١/٣٤١) وأشار إلى ضعفه، وكذا أورده المناوى فى فيض القدير (١/٣٤٢).

(٢) فائدة: قال الشيخ محيى الدين النووى فى كتابه الأذكار (ص ١٢٩، ١٣١): ويُستحب لمن أيس من حياته أن يُكثر من تلاوة القرآن والأذكار، ويُكره له الجزع، وسوء الخُلُق، والمخاصمة والشتم، والمنازعة فى غير الأمور الدينية، ويستحضر أن هذا آخر أوقاته من الدنيا، فيجتهد على ختمها بخير، ويُبادر إلى أداء الحقوق، وردِّ الودائع والعوارى، واستحلال أهله، وولده، وغلمانه، وجيرانه، وأصدقائه، وكل من بينه وبينه معاملة.

ويكون شاكرًا لله راضيًا، حسن الظن بالله أن يرحمه، ويغفر له، وأن الله غنى عن عذابه، وعن طاعته، فيطلب منه العفو والصفح، ويقرأ آيات الرجاء وأحاديث الرجاء، وآثار الصالحين، ويُوصى بأمور أولاده، ويُحافظ على الصلوات، ويجتنب النجاسات، ويحذر من التساهل فى ذلك، فإن من أقبح القبائح أن يكون آخر عهده من الدنيا التفريط فى حقوق الله تعالى، وأن لا يقبل قول من يخذله فى ذلك فإن هذا قد يُبتلى به.

ويربط من فمه إلى ذقنه لئلا ينفخر فاه بخرقة عريضة لئلا ينقطع جلده، ويُوضع على بطنه ما يمنع النفخ [.....] ويُرفع على سرير أو نحوه، لئلا يُصيب بدنه آفة، ويبدل لباسه إذا غلبت النجاسة، ولا يقولن أحد عنده إلا خيرًا لقوله ﷺ: «إذا حضرتم الميت والمريض، فقولوا خيرًا [ق/٨]، فإن الملائكة تُؤمن على دعائكم»[(١)].

فصل

إذا تيقن موته بظهور دلائله وأماراته من استرخاء القدمين، وميل الأنف، وانخلاع الكفِّ وغير ذلك من علاماته بُودر بتجهيزه فورًا، فإن فى البدار بذلك مثوبة وأجرًا.

قال ﷺ: «ثلاثة لا ينبغى التأنى فيهن: الصلاة، والجنازة، والأيم إذا حضر كفؤها»[(٢)].

وقال ﷺ: «لا ينبغى لجيفة مسلم أن يبقى بين ظهرانى أهله».

فيعجل بحمله إلى موضع ستير لغسله فيوضع على لوحٍ أو نحوه فيحذر من نقل رجليه مستقبلاً مساسًا على طهر، ولا يحضر من يستغنى عنه.

وليكن المباشر لغسله عدلا من جنسه ليؤمن على عورته، أو جائز الوطء كالمرأة مع زوجها، والمملوكة الفارغة مع سيدها، ثم محرمة بالدّلك لما ينظره والصبّ على العورة مستترة من غير لمسٍ لها ولو مع حائل، وحيث لا محرم فالصبّ على جميعه مستترًا إذا كان تبقى ما فى الميت من نجس ووسخ، وإلا يُيمم لأن المباشرة فى التيمم أقل منها فى الغسل، فأما طفل أو طفلة لا تشتهى فحلٌ مُسَلَّم، ويكره مباشرة الجنب والحائض إلا لعدم غيرها فيتيمم الجنب للعذر.

فصل

فيجرده الغاسل من ثيابه متجنبًا للنظر عن عورته، وخوفًا لقوله ﷺ: «لا ينظر إلى فخذ حى أو ميت»، واضعًا على عورته خرقة باديًا بأحلاسه غير معتصب، ويمسح بطن غير الحامل ثلاثًا ليخرج ما فى بطنه، ولا يُقَلم أظفاره ولا يحلق شيئًا من شعره، ثم يُسرع فى الغسل، وفى وجوب نيته تردد مقدمًا للاستنجاء لافًّا وجوبًا على يده خرقة لغسل العورة إن كان غير جائز الوطء غاسلاً بما غسل به العورة، ويطلق له شيئًا من

---

(١) حديث صحيح: رواه مسلم (٦) (٦٣٣/٢) فى الجنائز، الترمذى (٩٧٧) (٢٩٨/٣) (٩٧٧)، ابن ماجه (٤٦٥/١) (١٤٤٧)، عن أم سلمة بلفظ: «إذا حضرتم المريض...»، ورواه أبو داود (٩٩٠/٣) (٣١١٥) بلفظ: «إذا حضرتم الميت....».

(٢) حديث حسن: رواه الترمذى، والحاكم فى المستدرك، عن الإمام على، عليه السلام، مرفوعًا كما فى الجامع الصغير (١٣٨/١).

البخور لدفع رائحة كريهة، ثم تُوصيه وصية الصلاة كالجنب منصفًا برفق فمه وأظفاره مُدخلاً أحد أنامله فى أنفه لإزالة ما فيها، ثم يغسل رأسه ثم لحيته بالماء والخرض، ولا بأس بشىء من السِّدر بدله إن فقد وكذلك سائر جسده مقدمًا لمقدم جبهته عن صفحة عنقه إلى ساقه فيقلبه على جنبه الأيسر، ثم مَياسره كذلك فيقلبه على جنبه الأيمن، ثم يغسله بالماء، وهذه هى الأولى، ولا يجب سواها ولو جنبًا، أو نحوه، ثم يأتيه بالماء بعد أن يغسله بالسدر مع الماء، ثم ثالثة بالماء مخلوطًا فيه شىء يسير من الكافور إن لم يكن محرمًا، وإن فقد ذلك كفى الماء، ويكره تسخينه لإرخائه ثوب الميت إلا لشدة برد، أو وسخ.

ويرد ما تساقط من أظفاره وشعره فى كفه، فإن خرج من فرجه بعد التغسيل وقبل التكفين بول أو غائط كملت خمسًا، ثم سبعًا أدام حتى بعد التخميس، والواجب حينئذٍ الرابعة والسادسة، ثم يرد بالقطن، ويكف عن الصبّ، يتسخ بالتراب كما إذا عُدم الماء ولو جُنبًا، ويُنشَّف قبل تكفينه لئلا يبتل الكفن، ثم يغتسل الغاسل ندبًا.

فرع

إن رأى من الميت ما يعجب من الاستنارة وطيب الرائحة بدت له إذاعة ذلك وإظهاره، وإن رأى خلاف ذلك كتم وستر عوراه إلا أن يكون أبدعه أربع دِلَك وكشفت أستاره.

قال ﷺ: «من غسل ميتًا فكتم عليه غفر الله له أربعين مرة»(١).

وعنه ﷺ: «اذكروا محاسن موتاكم، وكفوا عن مساوئهم»(٢)، والمبتدع وإن كان داخلاً فى هذا العام لكنا أخرجناه مجتنبًا عن إشاعة [ق/٩] فيما ارتكبه من الآثام.

تنبيه: ولا يُغسل شهيد مُكلف قُتل فى معركة ولو جنبًا لقوله ﷺ فى قتلى أُحد: «زملوهم بدمائهم، فإنهم يُحشرون وأوداجهم تسحب دمًا»(٣) ثم يكفن وجوبًا فى ثوبٍ

---

(١) حديث إسناده ضعيف، وهو صحيح بشواهده: رواه الطبرانى فى الكبير، عن أبى أمامة مرفوعًا قوله: «من غسل ميتًا فستره ستره الله من الذنوب، ومن كفنه كساه الله من السندس». ويشهد للستر: «من ستر على مسلم ستره الله يوم القيامة»، وغير ذلك. وانظر: الجامع الصغير للسيوطى (١٧٦/٢).

(٢) حديث صحيح: رواه أبو داود، والترمذى، والحاكم، والبيهقى عن ابن عمر مرفوعًا كما فى الجامع الصغير للسيوطى (٣٧/١).

(٣) صحيح: رواه النسائى من عبد الله بن ثعلبة مرفوعًا بنحوه، كما فى الجامع الصغير (٢٨/٢).

طاهر ساتر لجميعه حماله لبسهُ ويمخض بزعفران ومسك وجوبًا ما أوصى به من زيادة القدر والعدد فيما لم يتجاوز الثلث، ويكره المغالاة فيه، لأنه غمًّا قريب إلى البلاء، فيبدأ بالحلق كفعل أبى بكر، والحسن لقوله ﷺ: «فليحسن كفنه وأن يكون أبيض ليس مُلفقًا من لفافتين فصاعدًا، وللرجل ثلاثة دروع، لأنه أمر ﷺ أن يُكفن ابنته أُم كلثوم فى ذلك ويُطابق أكفانه فارشًا أولاً الأوسع الأكمل مُحلّلاً فى حق غير المحرم للخيوط بينهما، وهو اسم جامع للبخور ذريرة والكافور، وماء الورد، ولا يُكره المسك إذ حنطّ به رسول الله ﷺ، وإذا نزع ثوب التنشيف وضع على الأكفان فى طيب ليشتد سيما مساعده ويضع قطن مُطيب فى منافس الفم، والمنخرين، والأُذنيين، والعينين، والدبر، إن كان يُؤمن خروج ريح كريهة، ثم يُضم الساق واحدًا واحدًا، مبتدئًا بالأيمن سريعًا رادًا عليه الأيسر جاعلاً أكبر الفصلة مع الرأس رادًا لها على الوجه وفصله الرجلين إلى الظهر، ثم يشد الأكفان بخرقة.

تنبيه: ولا يُغطى رأس المحرم والشهيد يُكفن فى كل ما قيل فيه إلا ما لا يكفن بجنبيه كآلة الحرب، والجورب مطلقًا، والسراويل والفروّ، وإن لم يبلهما دم والزيادة جائزة.

تنبيه: ولا يكف حين غسله من الذكر، ويكفيه من الأذكار سيما الدعاء للميت والاستغفار كما ورد ذلك فى صحيح الأخبار متضرعًا إلى الله مبتهلاً منزعجًا من هذا المآل متقلقلاً.

ثم يُحمل وجوبًا قائلاً: بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله، ونُدب أن يُحمل على سرير أو نحوه مغطى بثوب، فإن خيف أن ينكسر به السرير حمل كيف أمكن، وأن يتخذ منه على نعش المرأة وأن يبدأ من يعمله بمقدم [....] ثم بمؤخره، ثم يُقدم الأيسر ثم مُؤخره مُقدمًا لرأس الميت جاعلاً الحامل رأسه خارج العمود لابين العمودين متنقلاً فى أرباع السرير ونحوه، متوسطًا فى السير بالجنازة بين المشى والإسراع مع التناوب فى الحمل، والتكرير، ويمشى الفازع معها خلفها لا أمامها مشتغلين أجمعين بذكر الله متفكرين فيما يقدم عليه الميت مُنزعجين من هذا المآل عارفين أن حالهم عما قليل ذلك الحال.

ويُكره: رفع الصوت والإعلان بالذكر أو تلاوة القرآن ولُحوق النساء واستصحاب المجمرة والقعود قبل وضعها، وكذا القيام قبل حملها، ويُندب الإيذان بالاجتماع لقوله ﷺ: «ألا أذنتمونى» حين رأى قبرًا حديثًا.

فصل

ثم يُصلى على الشهيد، وأن يُغسل فى غير مسجد ووقت مكروه، والأولى بالإمامة الإمام ووليه، ثم الأقرب فالأقرب الصالح من العصبة الابن والأب أولى من الابن، ثم الجد للخبر، فدعاؤه مُجاب ويُعاد إن لم يأذن الأولى، ويجعل الجماعة تليه صفوف لقوله ﷺ: «من صلى عليه تليه صفوف فقد أوجب»[1]. أى وجبت له الجنة.

الإمام سُرة الرجل وثدى المرأة ووجهها، القيام والنية وخمس تكبيرات والتسليم والقعود والتوجه فيها، وندب بعد التكبيرة الأولى أن يقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيى ويميت، وهو حىٌّ دائم لا يموت، بيده الخير وهو على كل شىءٌ قدير [١٠/ق] ثم يقرأ الفاتحة.

وبعد الثانية: اللهم صلى على سيدنا محمد عبدك ورسولك وخيرتك من خلقك، وعلى أهل بيته الطيبين الأطهار الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا كما صليت على إبراهيم وعلى آله إبراهيم إنك حميد مجيد. ثم يقرأ الإخلاص.

وبعد التكبيرة الثالثة: اللهم صلى على ملائكتك المقربين، اللهم شرف مقامهم وعظم أمرهم، اللهم صلى على أنبيائك المرسلين، اللهم أحسن مثواهم، وارفع عندك درجاتهم، اللهم شفع محمدًا فى أُمته واجعلنا ممن تُشفّعه فيهم، اللهم اجعلنا فى زمرته، وأدخلنا فى شفاعته، واجعل مأوانا الجنة، ثم يقرأ الفلق.

ثم يُكبر الرابعة، فيقول: سبحان من سبحت له السماوات والأرضون، سبحان ربنا الأعلى، سبحانه وتعالى، اللهم هذا عبدك وابن عبدك، وقد صار إليك، ويحمد الله ويقول مسترجعًا، لا كما يفعله الجهلة، ومسترجعًا: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم عندك أحتسب مُصيبتى فأجرنى فيها وأبدلنى فيها خيرًا منها ويقرأ عليه سورة

---

(١) روى ابن ماجه عن أبى هريرة مرفوعًا بنحوه: «من صلى عليه مائة من المسلمين غفر له». وإسناده ضعيف.

يس لقوله ﷺ: «اقرءوا يس على موتاكم».

وقوله ﷺ: «أيما مسلم قُرئ عنده إذا نزل به الموت سورة يس، بكل حرفٍ فيها عشرة أملاك يوحون بين يديه صفوفًا يصلون عليه ويستغفرون له، ويشهدون غُسله، ويتبعون جنازته، ويصلون عليه، ويشهدون دفنه».

وقوله ﷺ: «فى القرآن سورة تشفع لقارئها، وتستغفر لمستمعها، وهى سورة يس».

وقد أتيناك متشفعين له سائلين له المغفرة فاغفر له ذنوبه، وتجاوز عن سيئاته، وألحقه بنبيه ﷺ.

اللهم وسع عليه قبره وفسح له فى أمره وارزقه، عفوك ورحمتك يا أرحم الراحمين، يا أكرم الأكرمين اللهم ارزقنا حُسن الاستعداد لمثل يومه، ولا تفتنا بعده، واجعل خير أعمالنا خواتيمها، وخير أيامنا يوم نلقاك.

ثم يُكبر الخامسة ويُسلم، ويُخافت عدا التكبير، ثم يدفن فى غير الأوقات المكروهة غير متصل بجيران السوء له ذى الأموات منهم فوق تراب [.....] مستقبلاً فى قبره وسع عميق لقوله ﷺ: «أوسعوا وأعمقوا».

ويلحدون لقوله ﷺ: «اللحد لنا»[1] وينفث فى موضع الرأس والرجلين لأمره ﷺ بذلك وتواريه [....][2] له من مؤخر القبر، بادئًا بإدخال رأسه من جهة رجليه، مُغطيًا لقبر المرأة حتى يُوارى من له غسله، والأفقه أولى، ثم الأقرب والزوج أولى، ثم الأب، ثم الجد، ثم الابن، فإن فُقد الجنس والمحرم، فقيل: يُدلى بالحبال ولا يمس، وقيل: يجوز مسها مع الحائل.

وليقل الواضع عند وضعه إياه: «بسم الله وبالله، وعلى ملة رسول الله ﷺ اللهم

---

(١) حديث صحيح: رواه الإمام أحمد فى المسند عن ابن عباس مرفوعًا بلفظ: «اللحد لنا، والشق لغيرنا»، وكذلك رواه أحمد بسندٍ صحيح عن جرير بن عبد الله مرفوعًا، بلفظ: «اللحد لنا، والشق لغيرنا من أهل الكتاب»، كما فى الجامع الصغير (٢/١٤٠).

(٢) ما بين المعقوفتين طمس بالأصل.

أسلمه إليك لا شيء معه من ولده، وأهله، وفراشه، وإخوانه، وفارق كل من كان يحب قربه، وخرج من سعة الدنيا والحياة إلى ظلمة القبر وضيقه، ونزل بك وأنت خير منزول، فإن عاقبته فبذنبٍ، وإن عفوت عنه فأنت أهل العفو، وأنت غنيٌّ عن عذابه، وهو فقير إلى رحمتك.

اللهم اشكر حسناته، واغفر سيئاته، وأعذه من عذاب القبر، واجمع له برحمتك الأمن من عذابك واكفه كل قولٍ دُون الجنة، اللهم اخلفه بكرمك فى العابدين، وارفعه بجودك فى عليين وعُدْ عليه بفضلك ورحمتك يا أرحم الراحمين.

وحينئذٍ يوضع جنبه تُرابًا ويدرج، لئلا يستلقى فيحل العقود، وتُشد اللحد باللبن والحجارة [.....][1] وتشد الحروف لئلا يدخل عليه من التراب، ثم يحثو الحاضر بنبت حسان بيديه جميعًا من قبل رأسه قائلاً مع الأولى ﴿**منها خلقناكم**﴾ ومع الثانية: ﴿**وفيها نُعيدكم**﴾ ومع الثالثة: ﴿**ومنها نُخرجكم تارةً أُخرى**﴾ [طه: ٥٥]، وتكره الزيادة على التراب المستخرج، ورفع القبر فوق شبر إلا لفاضلٍ وزخرفته بالتجصيص، والتفضيض إلا رسم الاسم فى لوحٍ أو خشب، والصخر أولى والتسقيف، ولا بأس بالقباب والمشاهد على الفضلاء فى المُلك لاستعمال المسلمين ذلك، ولم يُنكروه، ونُدب [١١/ق] الراضراض[2] كقبره ﷺ، والتربيع لتربيع قبر حمزة وإبراهيم والرش لأمره ﷺ برش قبر المطلبى.

وأن يُوقف عند قبره بعد الفراغ قدر ما ينحر جزور ويُقسم لحمها لا أن يفعل ذلك كما عليه العامّة من الناس فإنه بدعة ضلالة، إذ ليس فيه مستند ولا أساس، والقاعدون مشتغلون بتلاوة القرآن، فإن جمعوه كله فحسنٌ، وبالدعاء للميت والاستغفار، فقد ورد فى صحيح الآثار عن نبينا المختار ﷺ أنه كان إذا فرغ من دفن الميت وقف، وقال: استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت، فإنه الآن يُسأل»، ولا بأس بالوعظ للحاضرين وليذكر حكايات أهل الخير وأحوال الصالحين، فأما التلقين فقد نص على استحبابهجماعة من المحدثين ولا بأس به، فقد روى عن البشير النذير الأمين صلى الله

---

(١) ما بين المعقوفتين طمس قدر كلمتين بالأصل.

(٢) الرضراض: ما دَقَّ من الحصى، ورُضَاض الشيء بالضم فُتَاتَهُ (الصحاح رضض).

عليه وسلم وعلى آله الطيبين الطاهرين أنه قال: «إذا مات أحدٌ من إخوانكم فسويتم التراب على قبره، فليقم أحدكم على رأس قبره، فليقل: يا فلان ابن فلانة فإنه يسمعه ولا يجسه»، وذكر أنه يُكبر له ويأخذ كل واحد منهما بيد صاحبه ويقول: انطلق بنا.... وهذا الحديث وإن كان مُضعفًا، فإنه يُستأنس به للمسامحة فى أحاديث الفضائل[1].

فرع

وضعه الناعين على ما استحسنه بعض المحدثين: يا فلان ابن فلانة، اذكر العهد الذى خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، وأن الجنة حق والنار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من فى القبور، قُل رضيتُ بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمدٍ ﷺ نبيًا [ورسولاً] وبالكعبة قبلةً وبالقرآن إمامًا وبالمسلمين إخوانًا، ربى الله لا إله إلا هو وهو ربُّ العرش العظيم.

* * *

---

(١) بل هو حديث موضوع لا أصل له، والله أعلم، والأصل فى مثل هذه الأمور اتباع سنة الهادى البشير صلى الله عليه وآله وسلم.

الباب الثالث

وهو فى آداب حسنة ووصائف مستحسنة، مترتبة فى المحل على ما سبق من الآداب مستخرجة من صحيح السَّد ومُحكم الكتاب لا يرضى بإضاعتها أولوا العقول والألباب، ومن له همة فى الاكتساب والحفظ العظيم الأجر والثواب، أو الفرار من وبيل العقاب، فعلى كل أخٍ فى الله وحميم وذى دينٍ صحيح قويم، ورغبة فى سُلوك المنهج المستقيم أن يستمع لما فيها، ويُشمِّر أذياله من بدع أهل الجهل، ويكون دائبًا فيما يُفيد ويجدى، محاسبًا لما يَضُرّ ويردى، متأدبًا بآداب القرآن غير مُصغ إلى تسويل الشيطان، فإن الله خالق الجنة والنار، وركب العقول لتُميز بين المنافع والمضار، وجعل قدره فى الاختيار فمن اختار الجنة حَاز المُنى وفاز، ومن اختار النار ندم عما فوت وامتار.

وفقنا الله لما يرضيه، وعصمنا بلطفه عن اقتحام ما لا يرضيه.

فصل

التّعزية إلى كل من أهل الميت مندوبة، وهى الحنث على الرجوع إلى الله لحفظ المثوبة وليقلل الحزن، أو ليذهب بأسره، قال ﷺ: «من عزى مصابًا كان له مثل أجره»[(١)] مبتدئًا قبل الكلام بالتسليم آتيا بما يطابق وما يثبت المقام، ومن أحسن ما قيل فى ذلك، فينبغى أن لا يقام بسواه هنا لك ما عزى به رسول الله ﷺ على بعض أصحابه عند فقد بعض أحبابه، وهذا الحديث من جوامع الكلم وبتأمله يطيب جرح القلب المتألم، وبذلك يُعزيه: نذكركم مصيبتكم فِي رسول الله ﷺ، رزقت الأجر فى حياتك وبعد مماتك، ودَركا من كل فاتك، وخلفا من كل هاتك، فلله تدعو وإياه فارجوا فإن المصاب من حرم الثواب.

وكذا ما عزى به بعض الفقهاء الأدباء، أن أغصّ المصائب [١٢/ق] وأغص النوائب فقد سُرور وحرمان أجر، فكيف إذا اجتمعا مع اكتساب وزر ألهمنا الله عند المصائب صبرًا، واحرز بالصب أجرًا ويدعو له ولميته.

فيقول: عظم الله أجرك، وأحسن عزاك، وغفر لميتك.

---

(١) رواه الترمذى، وابن ماجه كما فى الجامع الصغير للسيوطى (١٧٦/٢) عن ابن مسعود مرفوعًا، وأشار السيوطى إلى ضعفه.

ويكره أن يجمع أهله أجمعون ليقصدهم المعروف كما يفعله العوام الذين هم كالأنعام، بل يمضى كل فهم لشأنه ويقصده المُعزى إلى مكانه، وأن يُعزِّى غير البارح بعد ثلاثة أيام، هكذا ذكره بعض أئمتنا عليهم السلام.

فصل

نُدب لمن حضر أهله من الأقارب والجيران الأجانب اتخاذ طعام لأهله، ومباشرة اتصاله وحمله، ويكون وافرًا، وذلك لقوله ﷺ حين بلغه نعى جعفر: «اصنعوا لآل جعفر طعامًا».

فصل

وليتخذ أهله وأقاربه الصبر على ما ابتلوا به من فقد عزيز لهم، والشكر لله على ما اختاره وحكم به من بُعده عنهم، وليتأدبوا بآداب السنة والكتاب المتضمنة للحث على الصبر والإحسان، ورجوعًا إلى أقوال الكريم الوهاب: ﴿**إنما يُوفى الصابرون أجرهم بغير حساب**﴾ [الزمر: ١٠] وليستعينوا على ذلك بالالتجاء إلى الله وإكثار الصلاة، فإن رسول الله ﷺ كان إذا حزنه أمر فَزَع إلى الصلاة.

فصل

رُوى عن ابن عباس، رضى الله عنهما، أنه حين نعى إليه أخوه، وهو فى سفر استرجع وتنحى عن الطريق وصلى ركعتين أطال فيهما الجلوس، ثم قام يمشى إلى راحلته وهو يتلو: ﴿**استعينوا بالصبر والصلاة**﴾ [البقرة: ١٥٣].

وروى عنه ﷺ أنه قال[١]: «الموت فزع، فإذا بلغ أحدكم وفاة أخيه فليقل: ﴿**إنا لله وإنا إليه راجعون**﴾ [البقرة: ١٥٦] ﴿**وإنا إلى ربنا لمنقلبون**﴾ [الزخرف: ١٤] اللهم اكتبه عندك من المحسنين، واجعل كتابه فى عليين، واخلفه فى أهله فى العابدين، ولا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده.

فصل

ولتجتنبوا الحزب المردى، والعمل الذى يضر ولا يُجدى، فلا تتركوا شيئًا مما كان يصنعه فى حياته من خير، من إنفاق على فقراء أو إطعام مساكين، وتكفل أيتام، ما استطعتم لذلك سبيلاً.

لما مات الحسن والد عبيد الله بن الحسن وعبيد الله حينئذٍ، قاضى البصرة وأميرها،

---

(١) رواه ابن وهب فى جامعه، وأبو نعيم فى الحلية، بنحوه كما فى الجامع الصغير (١٨٧/٢).

فكبرّ من يُعزِّيه فذكروا ما يتبين به جزع الرجل من ضره، فأجمعوا أنه إذا ترك شيئًا كان يصنعه فقد جزع. ليحذر كل الحذر من الإحداد[١] واتخاذ الأطعمة للناس، والاستحداد[٢]، وخمش الوجوه، وشق الجيوب، وظهور الأصوات، وهتك الستور، ونشر الشعُور، ونحو ذلك من المنكرات مما فيه إظهار للجزع، والحَزَن كعقد المناحات، فإن ذلك من أعمال الجاهلية وهدم فى القواعد الدينية، ومحظور بإجماع الأمة المحمدية، وكان مقتضى القياس أن لا يأتيه من الناس إلا الحمقى دون الأكياس، والعوام الذين هم كالأنعام دون أرباب المعرفة بالحلال والحرام، لاسيما العلماء الأعلام ولكن لنصر الشيطان فى التدخل اشتركوا ولعصيان الرحمن ارتكسوا حتى صارت النياحة عند الجميع من أهم الواجبات بل مواظبتهم عليها أكثر من مفترض الطاعات، فليس لهم خلف، ولا إمام يتبعونه، وقد صدق رسول الله ﷺ قوله: «بدأ الدين غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدأ فطوبى للغرباء»[٣].

فرع

كان مقتضى ما يُظهرونه من الشغفة، ويرونه من التلهف لبُعده للمحنة والغمة، إذا لم يرحموا أنفسهم، وآثروا رضى الشيطان بأن يظهروا بؤسهم أن لا يقولوا ويفعلوا ما يعود بالضرر إليه، فإنه صحَّ عن رسول الله ﷺ: «أن [١٣/ق] الميت ليعذب ببكاء أهله عليه»[٤]، فكيف يدعى أنه من أصدقائه وأحبائه من لا يبتعد عن أسباب مظانّ عذابه.

تنبيه: والمراد بالبكاء المحرم ما كان مع صوت لا مُجَرَّد دمع العين، فإنه صحَّ عن رسول الله ﷺ أنه قال ذات يوم، وقد بكى عنده مريض، فبكى أصحابه لبكائه، فقال: « ألا تسمعون إن الله لا يُعذب بدمع العين، ولا بحزن القلب، ولكن يُعذب بهذا أو يرحم، وأشار إلى لسانه».

فصل

ويُكره وطأ القبر والقعود والتبول عليه، والنوم فوقه، وكذلك الاتكاء إليه، قال ﷺ: «لا تقعدوا على القبور»، وكذا من ارتكب عنده محظورًا مما حَرَّمه الشرع من قلع بناية

---

(١) هو الحداد الموسمى على الميت، مثل: الخميس والأربعين والسنوية.

(٢) قص الشعر، وحلق جزء منه حزنًا على الميت.

(٣) حديث صحيح: وانظره شرحًا وتخريجًا فى «كشف الكربة عن الأمة»، لابن رجب الحنبلى.

(٤) رواه أحمد والبخارى ومسلم وابن ماجه كما فى الجامع الصغير، وصححه عن ابن عمر (١٨٧/٢).

أو إخفاض به، أو رفع له.

فصل

ويُراعى حقه فى أصدقائه وأحبائه، وأصفيائه، وأصحابه، وخلطائه، وأنسابه، وخلصائه، ومن كان من أهل ولاية، فقد صح عن رسول الله ﷺ أن من البرِّ أن يصل الرجل أهل ود أبيه.

أو كما قال: «من البرِّ والصلات اكتساب الحسنات والبعد عن السيئات».

لما روى عنه ﷺ: «إن أعمالكم لتعرض على موتاكم فيسرون بصالحها، ويُساءون بسيئها».

فصل

ويُعاهده أقاربه وأحباؤه وإخوانه فى الله، وأصحابه فى أكثر الأوقات سيما ساعات الإجابات بالبرِّ والصلات، والتضرُّع إلى ربِّ الأرضين والسماوات أن يُؤنس عظيم وحشته، ويتعمد ما كان من سيئه وخطيئته سائلاً من الله عفوه ومغفرته، والتجاوز عن سيئته وأن يُسبل عليه سحائب رحمته، ويسكنه بحبوح جنته ولا ينسوه لطول الأمد، ويستمدون له الدعاء من كل أحدٍ مواظبين على زيارة قبره مديمين على مواصلته وبره غير مُغفلين لقصور أمره.

فقد رُوى عنه ﷺ: «أنس ما يكون الميت فى قبره إذا زاره من كان يُحبه فى الدنيا»، وليكن المقال فى تلك الحال عند زيارة القبور، والزائر على طهوركم وردَ به الأثر عن سيد البشر ﷺ وعلى آله السادة الطاهرين: «السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين، وإنا والله بكم لاحقون، فهم لنا فرط، ونحن لكم نفع، نسأل الله لنا ولكم العافية، اللهمَّ ربّ الأرواح الفانية والأجساد البالية، والعظام النخرة، التى خرجت من الدنيا، وهى بك مؤمنة، أدخل اللهم عليهم روحًا منك، وسلامًا منا، اللهم لا تحرمنا أجرهم، ولا تفتنَّا بعدهم.... [آمين].

ويُستحب للزّائر الإكثار من قراءة القرآن سبعا سورة يس، والأذكار، والدعاء لأهل تلك المقبرة، وسائر الموتى من المسلمين أجمعين.

قال مؤلفه رحمه الله:

وقد تمَّ ما أردناه وفرغ رَقْم ما ألفنا وجمعناه من هذه الوصائف والآداب المفرعة فى

ثلاثة أبواب، والله المسئول بحرمة الكتاب، والرسول والوصى والسول والمسموم والمقتول أن يُوفقنى وأحبائى فيه للعمل بما فيه، إنه ولى كل فضل ومولیه، ومُسبّل كل خير ومُسديه.

* * *

تم بحمد الله

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

* * *

المحتويات

المقدمة ٣
الفصل الأول فى بيان شرف هذا العلم ووجه الحاجة إليه بالمعقول والمنقول..... ١٠
الفصل الثانى فى ما يحتاج إليه الطبيب من العلوم ١٨
الفصل الثالث فى ما يحتاج إليه الطبيب من الأخلاق والصفات ٢٢
بحث فى بيان غاية علم حفظ الصحة ٢٧
بحث فى بيان وصايا الطبيب ٣٥
بشارة الطبيب..... ٤٠
وصية لابن هُبَل ٤٣
وصية لابن زهر ٤٥
بحث فى خواص الأشياء ٥٦
منافع الريحان وأنه هو الآس ٥٧
مطلب بيان أوزان المسهل ومقداره..... ٥٨
وصية العلامة..... ٦٠
تعيين الطبيب..... ٦٢
عقيدة الطبيب..... ٦٢
بيان الاعتماد على الطبيب ٦٥
مطلب مداواة بالأشياء الكريهة ٦٨
طريق العلاج..... ٦٩
مطلب فى المداواة بالأسهل ٧٠
حذاقة الطبيب فى علاجه ٧٢
معرفة الطبيب ٧٢
سؤال الطبيب ٧٣
معمولات الطبيب..... ٧٣
لابد من الوصية ٧٤
بيان فساد تدبير الطبيب..... ٧٤

غلطات جهال الأطباء..... ٧٤

وجوب الطبيب ٧٦

خطأ المريض..... ٧٧

غلط الطبيب ٧٧

ختم الوصية بوصية الكتابين..... ٨٠

الكتاب الثاني ٨٣

ترجمة موجزة للمصنف..... ٨٥

الباب الأول وهو فى الآداب المتعلقة بالمريض ٩٠

الباب الثانى وهو فيما يتعلق بالمريض وبما يتعقبه من تنفيس فى الأجل أو قضاء نَحْب ٩٥

الباب الثالث ١٠٥